

صاحب الجلالة يوجه خطاباً الى الشعب المغربي بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

ألفنا كل سنة ان نلتقي في مثل هذا اليوم لنتبادل التهاني، ولنؤكد عزمنا على تحقيق المطامح والاماني، حتى نسير دائماً في ذلك النهج المطمئن والقوي لبناء مغربنا يوما بعد يوم وسنة بعد سنة لنكون مطمئنين مع آخر هذا القرن، ولنترك للاجيال المقبلة ما عليه نحمد ونشكر من أعمال وتشييد وتخطيط.

قلت لك شعبي العزيز اننا نلتقي لتبادل التهاني ولنؤكد عزمنا على بلوغ مطامحنا وأهدافنا وأمانينا.

وسأحاول في هذه الكلمة الوجيزة أن أعرض أمامك بعض النقط التي تركز تلك الآمال وتلك الاماني، سواء فيما يخص يومك وغدك لعل وعسى ان نتمكن رغم تكاثر النسل والازمة الاقتصادية التي يعيشها العالم بأسره، ان نبقى في مستوانا حامدين الله تعالى حامدين مسعانا.

كما تعلم شعبي العزيز في الشهور الماضية افتتح على الصعيد الوطني اقتراض كانت الدولة تنتظر منه أن يجلب لها عشرة ملايير، فاذا بالمفاجأة السارة الكبرى تأتي، ونجد عوض العشرة ملايير أنك أقرضت الدولة شعبي العزيز 45 مليارا، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ثقتك بعملتك، واطمئنانك على مستقبلك، ويدل على أنك تريد ان تنفد ما يقوله وقاله أعداؤك وخصومك من أن المغرب مشلول، وان دم المغرب استنزف، وان الامكانات الاقتصادية والمالية والنقدية للمغاربة كلها ذهبت هدراً وسدى في رمال الصحراء.

ولم يكن شعبي العزيز الجواب بأحسن مما أعطيته على أن كل ما يحيط بك من مؤامرات ومكائد فانك تستطيع ان تفندها وتأتي بالحجج الدامغة لابطالها تماما ونهائياً.

وبعد هذا الذي حدث في شهر مارس بالذات وبالخصوص في الفترة التي عشناها في زيارتنا لأقاليمنا الصحراوية والتي مرت في خمسة أيام ربما لم تتمكن من أن تعطي الأهمية وتستنتج النتائج اللازمة لهذه الثقة وهذا النفس الجديد الذي أعطيته لنفسك والذي حولته ضد خصومك وأثلجت به صدور أصدقائك.

فبعد هذه النتائج السارة التي نحمد الله عليها فكرت في فتح قرض وطني جديد نسميه قرض حاجيات الصحراء، تلك التي تعلم ان نوعيتها متعددة لا يمكنني حصرها في هذا الميدان أو ذاك، ولكن كيفما كانت حال حاجيات الصحراء فان الاموال لا تذهب فيها هدرا، بل العكس كلما لبيناها أظهرت الصحراء انها كفء ومستحقة للمواطنة، وانه ينتظر منها المعجزات، فمثلا القرض السابق نلاحظ ان مدينة مثل العيون التي ساهمت في الاقتراض الوطني، بمبلغ جعلها في الرتبة العاشرة أوالثانية عشرة قبل بعض المدن المعروفة بالفلاحة والماشية والري، فمدينة العيون تأتي مباشرة بعد الدار البيضاء والرباط ومكناس ومراكش وفاس والقنيطرة، وهذا إن دل على شيء فانه يدل على ان حاجيات الصحراء اذا كانت مالية فتلبية الحاجيات ستجعل الصحراء أرضا معطاء، كل ما أعطيناها سوف ترده لنا وأهاليها سوف يردونه لنا اما ماديا واما بتشبثهم بوطنيتهم واما بهما جميعا.

وحاجيات الصحراء لا يخفى عليك انها متعددة النوعية من الناحية المادية ومن الناحية العسكرية كذلك.

ويجب علينا ان نقول هذا دون ان نخفيه، لا سيما وانه سبق أن ذكرت بالعيون استرجاعا لما ضاع أو ما أصابه القدم من التجهيزات العسكرية أو تمشيا مع التكنولوجيا الحديثة.

قررنا ان نطور جيشنا ليس من أجل الصحراء فقط ولكن ليبقى الجيش المغربي في مستواه، في مستوى سمعته كذلك من حيث الرجال ومن حيث الآليات.

ولكن حاجيات الصحراء لا تنحصر في هذا الباب، فالصحراء تحتاج الى التنقيب والى تشييد المدن والمراسي، فقررت اذن ان أقترح عليك اقتراضا وطنيا نسميه الاقتراض الوطني لتنمية الصحراء.

ولكن هذا الاقتراض الوطني سوف يتميز عن الاقتراض الاول بالمميزات الآتية :

أولا : سوف تكون مدته ثلاث سنوات

ثانيا : سوف تكون فائدته 14 في المئة كما كان الاول

ثالثا : لن تمسه الضرائب

ولكن ما هو الجديد في هذا الاقتراض ؟ سيكون بالطبع مفتوحا لجميع المغاربة سواء القاطنين في المغرب أو الخارج، وعندما أقول الخارج فانني أعني فرنسا وبلجيكا وألمانيا وهولندا وكندا نفسها، وفي مناطق اخرى يوجد بها رعايانا، وكما تعلمون ان رابطة البيعة لا تنقطع بتاتا بين الملك وأحد رعاياه، فاذن كل مغربي حيثما وجد فان الباب مفتوح أمامه للمشاركة في هذا الاقتراض، ولكن ما أضفناه انه في اليوم الذي نعيد له أمواله بعد ثلاث سنوات بفائدة 14 في المئة وبدون ضرائب سوف نرد له أمواله بالعملة التي سلف بها، بمعنى ان الذي اكتتب بالفرنك الفرنسي سوف نعيد له أمواله بالفرنك الفرنسي، ومن اكتتب بعملة الدول الاوربية كبلجيكا والمانيا وهولندا سنعيد له أمواله بنفس العملة التي اكتتب بها، ومن اكتتب من غير المغاربة سنعيد لهم أموالهم بالدولار أو بما اكتتبوا به.

بل نريد فوق هذا، أن هذا الاقتراض الوطني لن ينحصر على المغاربة فحسب القاطنين في المغرب او خارجه، بل يكون مفتوحا امام جميع الناس كأرباب الشركات الاجنبية التي تثق في المغرب وفي الشعب المغربي، ولا أقول النظام المغربي، أنا لا أفرق بين النظام المغربي وبين الشعب المغربي، علما مني أن هذا الشعب هو الذي أراد هذا النظام، ولماذا أراد هذا النظام، لأنه هو الذي أسعد هذا الشعب.

بطبيعة الحال كانت لدينا متاعب خلال قرون تاريخنا الطويل، من الذي يمكن ان يجر الذَّيل، أي ان يجر «جلايله» للتاريخ كما نقول باللهجة الدارجة على أزيد من الف سنة دون ان يلاقي الصعوبات في الطريق.

هذا غير موجود، ولنعد الى ماكنا بصدد الحديث عنه، أقول سوف يؤكدون مرة أخرى ثقتهم في الشعب المغربي، ولا أقول في النظام المغربي الشعب والنظام صنوان، لأن الشعب هو الذي يختار النظام، والنظام هو الذي يكون في مستوى ارادة الشعب الذي اختاره، اذن هذه المسألة انهيناها، ولي اليقين بأن هناك لدى عدة أصدقاء أجانب من جميع القارات ثقة فينا، ويطمئنون لقواعدنا الشعبية الاجتماعية، ولخلايانا التاريخية ان هؤلاء مفتوح لهم كذلك الاشتراك في هذا الاقتراض.

ولي اليقين أن هذا الاقتراض سيلقى نجاحا كبيرا أكثر مما نظن، ولكن حتى ننظم الامور ويكون كل شيء على ما يرام قررنا ان لا يفتح هذا الاقتراض إلا في النصف الثاني من شهر شتنبر ليكون الناس قد انهوا عطلهم، وعاد من سافر منهم الى مقر عمله، وحتى يتمكن كذلك مواطنونا والاجانب او مواطنونا الموجودون بالقارات الأخرى من تفهم وادراك صلاحية هذا القرض وأهميته من الناحية المادية ومن الناحية المعنوية.

ولكن الدولة، وحينما أقول الدولة أعني بها البرلمان «الجهاز التشريعي» والحكومة «الجهاز التنفيذي»، وبما ان لهما معا الحق في اقتراح القوانين بجانب خديمك المتواضع، وبما أنهما يكونان الدولة، فالدولة لا تفكر فقط في كيفية جمع الأموال واكتنازها، بل تفكر كذلك في كيف يمكن لها أن تسعدك، وان تفتح أمامك أكثر ما يمكن الباب على مصراعيه، باب الأمل المحقق للمطامح والآمال، فكما رأيت أو سمعت شعبي العزيز في الأسبوع الماضي قبل اختتام دورته، وافق البرلمان على عدة قوانين من جملتها قانونان مهمان جدا أضعهما في كفة الايجابيات، ليسا من قبيل أعطني انت ايها المغربي، ولكن خذ أيها المواطن المغربي لتتسع ساحة امتلاكك، وراحتك المادية.

وكان القانون الاول يتعلق بالبناء، وكما تعلم هنا في الدار البيضاء سنة 1980 نظراً لحاجياتنا للبناءات السكينة والقضاء على مدن القصدير وتشجيعاً للبناء، كنا أعلنا إعفاء كل من شيد داراً أو عمارة للسكن من أداء الضرائب لمدة خمس عشرة سنة.

ولكن بعد ان رأينا ولا حظنا أدركنا ان ذلك القانون مبتور، وسوف أحاول أن أفسر خلال دقيقتين بعض الأشياء التي لم تفسر لك، أو التي لم تفهمها أو لم تشرح لك، ما هي مميزات هذا القانون ؟

أولا : إن هذا القانون لم يعد محصوراً في خمس عشرة سنة فقط، بمعنى انه سوف ينتهي العمل به سنة 1996، فقد أصبح منذ الآن فصاعداً الى ما لا نهاية له، كل من حصل على رخصة للبناء يجب ان يدرك أنه معفى من الضرائب لمدة خمس عشرة سنة.

هذا بالنسبة للسكن الفردي، كذلك السكن له بدايته ونهايته، ونهايته هي ان يحصل الساكن على مفتاح المنزل، وبدايته هي شراء الارض مجهزة، فكذلك أولئك الذين يملكون أرضا وأرادوا تجهيزها كجلب الماء والانارة وتعبيد الطرق أعفيناهم من تلك الضرائب.

النتيجة سوف يتحرك الناس، وأهم نتيجة هي أن من يبيع الأرض مجهزة بطرقها ومائها وإنارتها حين يعفى من الضرائب سوف يضطر الى خفض ثمن أرضه بحيث ها هو السكن الفردي الذي سوف يتمتع بالاعفاء من الضرائب بعد ما يتقدم المعني بالامر بطلب الحصول على رخصة البناء، وسيجد كذلك العواقب الحسنة والطيبة للاعفاء في ثمن الأرض، لأن مجهز الأرض لن يلتمس العذر أو المبرر لرفع ثمن الأرض، وهذا مستحيل لأنه سوف يكون بدوره معفى من الضرائب لمدة خمس عشرة سنة.

أخيراً المغرب نظرا لاتساع انشطته، ونظراً لاستيطان عدد من الأجانب الذين يتوافدون عليه، ونظرا للنشاط الاقتصادي والمالي الذي تعرفه بلادنا، ليست في حاجة فقط إلى السكن، فهو محتاج الى المكاتب والعمارات، ونحمد الله سبحانه وتعالى على ان كثرة السيارات جعلت كل واحد يتقاضى مرتبا متوسطا يقترض لشراء السيارة، بحيث اذا استقر الانسان في عمارة، والعمارة بدون مرأب غير مقبولة، حيث أدرجنا هذه المكاتب لاعفائها من الضرائب، لأنها سوف تشجع على تشييد العمارة، وسوف تستجيب لرغبات الاجانب في التوفر على مكاتب وشركات هنا وهناك وانشطة اقتصادية ومالية، ولو ادركنا كذلك — عن المواطن المغربي — ان

السيارة هي بالنسبة لنا وبالنسبة له على الخصوص هي بمثابة رأسمال، كيفما كان مستوى هذه السيارة فالمفروض ان يجد عند ما يقطن العمارة مرأبا لها يقيها من الشتاء والرطوبة او حتى من بعض التعسفات التي تحدث.

إذاً شعبي العزيز هذا القانون الذي فاتحناك في شأنه والذي صادق عليه البرلمان في الاسبوع الماضي، قانون ايجابي، لكونه سوف يشغل اليد العاملة في البناء، ولي اليقين ان هذا القانون سوف يخلق رواجاً، وسوف يجعل كل المهن والحرف تشتغل وتخرج من الركود الى الرواج.

فالبناء سوف يزدهر، والنجار والحداد والكهربائي والرصاصي ومن يكسر الأحجار وصانع الأسمنت كلهم سيشتغلون، وسيتم تشغيل عدد من السكان خصوصا وان جميع انشطة هؤلاء ستجد رواجا، لا سيما وأننا نحن الآن في حاجة الى حوالي مليون وخمسمئة الف سكن، ولا يمكن للدولة بمفردها ان تفي بالحاجة، لكن يبقى علينا أن ننجز قسطا من ذلك ونسهل في نفس الوقت على المواطن، فالشخص الذي يريد تشييد مسكن له سيجد التسهيلات الضرورية رهن اشارته ليقترض من الابناك والمؤسسات بفائدة معقولة ولمدة معقولة كذلك، وكذلك سوف نمكن الميسورين من المواطنين من ممارسة أعمال البناء لاسكان مواطنيهم، بحيث اذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد المساكن المطلوب تشييدها، وكم يمكن لكل سكن من الصغير الى الكبير ان يشغل من اليد العاملة وعدد أيام الشغل، فانني أعتبر شخصياً أن هذا القانون سيوفر ملايين من أيام العمل لليد العاملة المغربية على تنوع أنشطتها.

القانون الثاني الذي صادق عليه البرلمان هو القانون المتعلق بالهبات الذي لم ينل القسط الوافر من اهتمام الاعلام ولا أقول الدعاية.

لاحظت منذ عشرات السنين كما تعلمون فإن الأحباس كانت دائما في رعاية أمير المؤمنين إلى حد أنه لما دخلت الحماية كانت لديها مراقبة على جميع الأنشطة باستثناء الأحباس والشؤون الاسلامية التي ظلت دائما خاصة بأمير المؤمنين، ولاحظت خلال السنين الأخيرة أن عدد المحبسين تضاءل، وإن الأحباس لا تتضرر فحسب بل تتقلص مداخيلها يوما عن يوم، فهل معنى هذا أن أهل الخير انقرضوا ؟ وهل معنى هذا أن الناس لم يعودوا يحبسون على اليتامى والعرائس واللواتي لا يجدن المال الكافي لزفافهن ؟ في الحقيقة لو حللنا أحباسنا لوجدنا أنها لم تراع فقط حقوق الانسان، بل كانت تراعي أيضا حتى حقوق الحيوانات.

وفي بعض المناطق كانوا يحبسون على العلجون اذا انكسرت ساقه، ويقال لنا بعد ذلك إن في انجلترا وامريكا جمعيات للحيوانات لحمايتها، ويقولون : إنهم يعالجون الأمراض العقلية هناك بالموسيقى، أما نحن فمنذ قرون وقرون كنا نحبس على المارستانات أي المسلمين رحمهم الله الذين حبسوا كانوا يستعملون في المارستانات كل يوم جمعة الموسيقى لعلاج الأمراض العقلية، كما كان هناك وقف لتعويض كل آنية كسرها طفل فتعوض له حتى لاينال عقاب والديه، وكذلك أحباس إغاثة الملهوف، وادخال الفرحة على المكروبين، أو الفتاة التي سوف تزف حتى تظهر لزوجها بمظهر لائق ليلة فرحها، بحيث ان الاحباس تشيد المساجد، وتؤدي رواتب الائمة والمؤذنين، وتفرج الكربة عن الناس، فالأحباس مقياس الحضارة والرقة، رقة شعور الامة والشعب الذي يحبس، وكذلك على تنوع نيات المحبس.

لنعد الى ما كنا بصدده رأيت ان رأسمال الاحباس عوضا عن ان يتنامى رغم الجهود التي تبذل فانه يتقلص، فوجدت ان من قدم هبة او وقفاً فانه يكون تحت وطأة الضرائب، واذا ما قدم هبة لمؤسسة خيرية

بمبلغ مئة مليون فان مصالح الضرائب تطالبه بجزء منها، شخص ميسور الحال وأراد ان يساعد مدرسة حرة او مؤسسة معترفاً بها فان الضرائب تطالب بنصيبها حتى ان أحدا لم يعد يحبس أو يقدم هبة.

وهذا القانون سوف يشجع الرواج على عدة أنشطة أو ميادين كانت مقصورة على الدولة فقط، لأن الدولة لا تستخلص الضرائب لحسابها الخاص، بل سوف تفتح امام الخواص الموسرين الذين اذا ما أرادوا استثمار أموالهم استخلصت منها الضرائب نصيبها، وكذلك الشأن اذا أرادوا ان ينجزوا عمل بر واحسان، كذلك سوف تنزل بهم كارثة الضرائب، فان فتح متنفس أمام الأموال المجمدة قصد ترويجها ستكون له نتائج ايجابية إما في المنشآت الاجتماعية أو الثقافية او المدارس أو الأحباس لاغاثة الملهوف وارضاء الضمير حتى يعمل الانسان لآخرته يوم لقاء ربه : ان الحسنات يذهبن السيئات، لعل وعسى ان يلقى ربه بقلب سليم ويلاقيه الله سبحانه تعالى بالثواب والمغفرة وبالأخذ بعين الاعتبار لما خلف من ورائه من سنة حسنة سنها وأجرها له ولمن عمل بها الى يوم القيامة.

قلت لك شعبي العزيز اننا سوف نتذاكر في البداية عن أمانينا، فأمانينا الأولى أن يكون القرض الوطني لحاجيات الصحراء مطابقا لأملنا، وفتحنا له آفاقا جديدة، وأمنيتنا أن يكون الرواج وأن يتم تشغيل اليد العاملة، والمال هو قانون البناء، والرواج كذلك يفتح آفاقا جديدة امام الناس وميادين جديدة باعفاء الهبات والأحباس من الضرائب.

وهناك ميدان آخر وهو مهم جدا، وهو الفوضى التي تعرفها الحرف الآن، وحتى أكون واضحا انتهجنا في هذه السنة نهجا جديدا في ميدان التكوين المهني، وفي آخر مطاف ذلك التكوين يأتي الشخص الذي وضع ثقته في صناعتنا وآمن بان العمل اليدوي شريف، وهو فعلا شريف، كما آمن بهذه الخطة والذي من المفروض عليه ان يبحث عن مورد رزق لاعالة أسرته، والذي يحصل في آخر الشهر على شهادته مذيلة ومزخرفة، فهل إن شهادته في التكوين المهني ستوفر له الشغل ؟ اذا سرنا على هذا المنوال فإنه يمكن لي أن أقول لكم : ان آمال هذا الشخص الذي اختار التكوين المهني، وآمال الذي خطط له في هذا الميدان، وكل الذين فكروا في التكوين المهني، كل هذا سيصبح من الاماني أو المطامح العذرية، لا تتعدى التفكير فيها، لماذا ؟ لأن الحرف غير منظمة، معلوم انه في الماضي كانت حرفنا منظمة، كان المحتسب مع الامناء يحافظون على مستوى المهنة واتقانها، ولكن عدة مهن لم يكن بها محتسبون حتى اليوم.

ولكن الفرق بين التكوين المهني والمهن القديمة والجديدة واضح، ان البطاقة التي يحصل عليها الشخص لا تؤهله لأن يكون أجيراً لتعلم الخرازة أو الدباغة، بل معنى أنه قابل لأن يكون صانعاً من الدرجة الاولى، ولا تفصله عن التأهيل سوى الممارسة، ولكن يجب مقابل هذا ان تنظم الحرف نفسها، لأنه ليس من حق أحد ان يفتح معملا لاصلاح التلفزة والحالة ان جلهم لا يتقنون المهنة، فالتلفزة لم تكن في أيام المحتسبين، وليس بامكان أي أحد أن ينصب نفسه ميكانيكيا لاصلاح السيارات، كان هناك الحداد الذي يصنع صفائح الدواب، ولكن مهنة اصلاح السيارات مهنة خاصة تسمى الميكانيك، فاي واحد يفتح مرأبا يدعي لنفسه أنه ميكانيكي، وأي واحد تعرض عليه اصلاح ثلاجتك يقوم بتفكيك كل أجزائها ويعيدها اليك دون اصلاحها، لماذا، لأن الحرف غير منظمة، وعندما أتحدث عن الحرف الصغيرة فبامكاني كذلك التحدث عن الحرف الكبيرة.

فالاصلاح الجبائي الذي نحن بصدده والذي يعتبر حقيقة شيئا مهما بالنسبة لنا نظراً لكونه يلم بجميع ما يمكن ان يلم به ليس بامكان أي أحد ان يكون في متناوله ان ينفع زبونه حتى يهيء ورقة ضرائبه، لا أستحضر

ترجمته باللغة العربية رغم أنني أحب التعريب ولدي ثغرات كباقي الناس، ولكن مثلا أرى اليوم في الدار البيضاء عشرات ممن يطلق عليهم Fiduciaires المحاسبون. ومع ذلك فهذه المهنة غير منظمة، نفس الشيء بالنسبة لمهنة القصابة، في ألمانيا يشترط في القصاب ان يكون حاصلا على شهادة لمزاولة المهنة.

فلهذا لن نسلم للطالب تلك الورقة الا اذا كانت مهنته صالحة للبادية او الحاضرة، وستؤهله للعمل في المعمل والمصنع او الحقل والفلاحة، أو ميكانيك المدينة لاصلاح السيارات، او في البادية لاصلاح الجرارات، وإلا اذا نظمنا الحرف وقمنا بحماية ذلك الشخص الذي أنفقنا عليه الاموال، والذي وضع فينا ثقته بولوج التعليم المهني حتى لا نتركه أمام منافسة غير مشروعة، المنافسة ضرورية، والمسابقة ضرورية، ولكن لها قواعدها، باذن على جميع الحرفيين أن ينظموا حرفهم، لأن المحترف الحقيقي هو الذي يملك دكاناً ويؤدي الضرائب والكراء والواجبات ويأتي من يدعي ان له مهنة وليس لديه أية مؤهلات، ولا يؤدي الضرائب، وينجز الاعمال خلسة، ويفسد آلات الزبناء كانت كهربائية أو ميكانيكية، ويزاحم بالتالي ذلك الصانع.

فلهذا قررنا أن نباشر عملية نموذجية في عمالة أو في اقليم من أقاليم المملكة، بعد التفكير ارتأينا ان تكون مدينة مكناس، لأن بها صناعات لا بأس بها ومتنوعة والرواج التجاري، وبها كذلك حقول فلاحية تصلح للتصنيع الفلاحي أو الفلاحة المصنعة، وسوف نفتح الحوار مع أرباب الحرف والمهن بينهم وبين الولاة، وندرس كل حرفة على حدة، وعندما يتم اعداد القانون الاساسي سنقارنه مع القوانين المتداولة في العالم، وإن كان للمغرب طابعه الخاص في مستوى معتدل، ويمكن لهذه التجربة النموذجية التي سنجريها في اقليم مكناس أن تكون قابلة للتطبيق في جميع أقاليم المملكة، وكلما أسرعنا في هذا الموضوع كان الشباب المتخرج هذه السنة من معاهد التكوين المهني سعيدا باختياره للمهنة، لأنه عمل مشرف، وثانيا : أولئك الذين يستعدون للموسم المقبل سوف يكونون مطمئنين ويدركون ان الفترة التي قضوها في المدرسة المهنية لن تذهب سدى، بل ان هذا الوقت رأسمال مهم ويستمر.

أخيرا شعبي العزيز عليك ان تعلم ان من الاسباب التي جعلت الموسم الفلاحي يكون جيدا زيادة على الامطار الغزيرة التي هطلت ولله الحمد والشكر عليها، ان عملية الحرث التي قمنا بها في السنة الماضية والتي بدأناها خلال شهر يوليوز كانت من العوامل التي جعلتنا نضاعف من المردودية، وفي الدار البيضاء التقيت في السنة الماضية كما تذكرون باتحاد الفلاحين، وطلبت منهم ان نبذل مجهوداً خاصاً هذه السنة لكي نزرع مليون هكتار من القمح الطري، وها نحن الآن مجندون وموجودون، فهناك عشرة آلاف جرار، والسماد موجود، والبذور كذلك متوفرة، والارادة الطيبة موجودة، والنيات الحسنة موجودة.

فعلينا ان نتجند لأنه اذا نجحت وسوف تنجح بمشيئة الله عملية زرع مليون هكتار فسوف نوفر مئة مليار سنتيم ندفعها من العملة الصعبة، بل عوض ان نكون قد غطينا 25 في المئة من حاجياتنا من القمح الطري سوف نكون غطينا ما يفوق 75 في المئة منه.

وأخيراً نكون قد أظهرنا للجميع ان المغرب وضع نفسه في تحد يمكن له ان يربح الرهان، و لاسيما شعبي العزيز أنه منذ سنين اكتشف علم اسمه بالفرنسية La dondrochronologie، وهذه التسمية مشتقة من اليونانية وهي الشجرة والنبات عبر الزمن، إذ يمكن للعلماء بعد دراسة الاشجار والنبات ان يعرفوا السنوات التي هطلت فيها الامطار من السنوات العجاف.

وفي نونبر الماضي سمعت بهذا العلم، ويمكن لي ان أقول لك الآن انني أرسلت في طلب الاستاذ العالمي المعروف في هذا العلم وهو الأستاذ سطانكطون من أمريكا، وجاء الى المغرب واشتغل فأفاد، ويجب ان نهنيء أنفسنا لوجود جماعة من الشبان المغاربة وبالأخص في معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة الذين وان كانوا لا يتعاطون هذا العلم، إلا أن مؤهلاتهم جعلتهم يحققون المعجزات بمساعدته، وقال لي عنهم الخير الكثير، وبالأخص وأنا سعيد بان أذكر اسم احدهم ألا وهو السيد السدراتي مدير المعهد، وستعرفون لماذا أنا سعيد بذكر اسمه، لأنه لا يوجد سوى دولتين في العالم تعرفان تاريخ مياههما الآن، الولايات المتحدة، والمغرب، كيف يعرفان تاريخ المياه ؟ يأخذان تربة الاشجار ويحللانها، ويمكن لهما انطلاقا من قطع الشجرة تحديد تاريخ المياه، ويمكن ان أقول الآن إنه حسب المعلومات التي أتوفر عليها تحدد لنا تاريخ المطر بلادنا لمدة الفي سنة، فاذا حللنا تلك المعلومات يمكننا ان نعرف من سنة الف الى سنة 1985 نسبة هطول الامطار بالمليمترات خلال كل سنة، وهذا الأمر مرتبط بعملية الحرث.

فعندما درسنا نسبة هطول الامطار خلال الف سنة وجدنا أولا ان هذه المسغبة الكبرى التي تعادل هذه الاربع سنوات، لا أعادها الله علينا، كانت لها مثيلة في أواخر القرن السادس عشر الذي كان آخر عهد دولة السعديين، فربطت بين الحالة الاقتصادية وبين الاستمرار السياسي، وأحلنا هذه المعطيات على المؤرخين المغاربة قصد دراستها من الناحية الحضارية والسياسية، ومن حيث الاحداث التي مرت بالمغرب، كيف ينطبق الجفاف والجوع وعدم الغنى على سير الامور السياسية، هذا للماضي ولكن للمستقبل فقد أظهرت تلك الورقة التي بها الف سنة من تاريخ المياه، وبكل تواضع وأنا احتفل بعيد ميلادي كان من الممكن لو توفرت المعلومات بين يدي لقلت لكم مثلا في سنة 1929 السنة التي ولدت فيها هل كانت سنة جيدة أو سيئة بالمليمترات والذي لاحظناه هو ان الجفاف يأتي بكيفية دورية في كل عشرين سنة على المغرب، ولكن الجفاف الذي شاهدناه خلال الأربع سنوات الأخيرة يعتبر جفافا استثنائيا كما قلت لكم، لم نشهد له مثيلا إلا في القرن السادس عشر، اما السنة بالضبط فلست ادري، ولكن ما أعرفه هو انه تزامن مع آخر دولة السعديين، والاضطرابات التي بدأت في المغرب آنذاك.

بما أننا عرفنا ان أمامنا مستقبلا نتفاءل به بعد خروجنا — ولله الحمد — من الاربع سنوات ودخلنا في العشرين سنة الجديدة، إذ سوف نصبح بعد مضي عشرين سنة 40 مليون نسمة، وبعد عشرين سنة سوف نواجه ثلاث أو أربع سنوات من الجفاف أقل وطأة من سابقتها.

وكما قلت فان المغرب والولايات المتحدة هما البلدان الوحيدان اللذان يتوفّران على المعطيات العلمية حول الماء، فإذا لم نتّخذ من الآن التدابير اللازمة لاكتشاف الماء الذي لم نكتشفه بعد، ونقوم بتخزين الماء المتوفر لدينا سواء كان جوفيا أو سطحياً، ونبحث عن أحسن طريقة لاستعماله، فان لم نفعل فسنكون مجرمين الى أقصى ما يمكن الاجرام، لأننا ندرك أن أمامنا عشرين سنة للعثور على هذا الماء، وحتى نحافظ عليه ونخزنه ونستعمله أحسن استعمال، علما منا أن أمامنا عشرين سنة يجب أن نبدأ اليوم، ان لم نكن قد بدأنا أمس، مع العلم اننا سنصبح أربعين أو أزيد من أربعين مليون نسمة.

فهذه — شعبي العزيز — كذلك من جملة الأماني التي ذكرتها لك، المهم ان ندرك اننا ولله الحمد وبارادة الله في مأمن من مثل الكوارث التي اجتاحتنا، ولكن في مأمن مؤقت، إذا ماذا بقي علينا ؟ بقي علينا أن تفكر جميع الاجهزة المكلفة بالماء في اكتشاف الماء، وحسن استعماله وخزنه، اكتشاف الماء لدينا ممكن، ولكن كلفنا

الهيأة التي سوف تتصل بالدوائر المختصة، وسوف نلتقط بواسطة الأقمار الاصطناعية المخصصة صوراً مدققة جدا للأرض المغربية التي ستعطينا صورة للمياه الجوفية أينما كانت، ويمكنها ان تكشف لنا عن المعادن على اختلاف أنواعها، ويمكن وهذا ليس ضروريا لأن البترول يوجد على عمق 3000 أو 4000 متر في بعض الدول، ويمكن أن تعطينا خريطة للبترول إن أمكن للكاميرا أن تصبر غور أعماق 3000 متر، ولكن مما لاشك فيه أن هذه الصور التي ستلتقط بكيفية منتظمة عبر الأقمار الاصطناعية وعلى أحسن مستوى تقني ستدلنا على حجم مياهنا الجوفية، فاذا استطعنا حصر عدد المستهلكين بعد عشرين سنة، وعندما ندرك انه بعون الله وقوته ولطفه سنكون في مأمن من المجاعة لمدة عشرين سنة، ولما نعرف كذلك اننا سوف نصبح بعد مضي عشرين سنة أربعين مليون نسمة، بدلا من 23 مليون، لم يبق لنا الا ان نعمل ونشتغل، لأننا حتى وان كانوا يصنفوننا مع العالم الثالث، فالمغرب ليس دولة من العالم الثالث فلسنا دولة في طريق النمو، لأننا دولة نامية بتاريخنا.

نحن من العالم الأول، وسائلنا ليست في مستوى امكاناتنا الخلاقة، وسائلنا التي جعلتنا إلى الآن، عضلاتنا الاقتصادية والمالية ولله الحمد مازالت قوية وصحيحة، فأمامنا تكاليف ومصاريف لسنا نحن الذين بحثنا عنها، ولكن من الواجب علينا اداؤها.

اذا شعبي العزيز ما هي حصيلة هذا الخطاب الذي أطلت عليك فيه ؟ الحصيلة هي أننا نهيء قرضا لحاجيات الصحراء، مفتوح أمام جميع المغاربة اينما كانوا ووجدوا، وأحسن من هذا أن المغاربة القاطنين بالخارج اذا اكتتبوا بعملة محلية فستسدد لهم بنفس العملة.

أولا ــ هذا القرض مفتوح أمام جميع أصدقاء المغرب كيفما كانوا وأينما وجدوا.

ثانيا ــ المسألة الايجابية في القانون حول السكن وما حول السكن من نشاط ورواج وامتلاك للبيت.

ثالثا ــ الهبات والاحباس المعفية من الضرائب مما سيعيد الحركة للأرض ويعيد النشاط.

الضمانات التي يجب ان نعطيها لمتخرجي التكوين المهني حتى لا تذهب مجهوداتنا سدى.

أخيرا يجب أن نقبل على عملية حرث المليون هكتار للقمح الطري لنتوفر أولا على حاجياتنا، وثانيا لكى نوفر لخزينتنا العملة الصعبة، علما منا بأننا ولله الحمد الآن يمكننا ان نتملك عمليا ونسبيا ــ وبالطبع لا ملك الا ملك الله ــ حقيقة واقع الماء عندنا وبخارطته وتاريخه منذ سنة 1000 إلى سنة 1985 عندنا تاريخ 985 سنة يمكن ان يعطينا آفاق المستقبل، فهذه شعبي العزيز كلها عناصر ونقط وآفاق تصلح لموضوع خطاب التهاني وخطاب التعاهد على تحقيق المطامح والاماني.

وهل معنى هذا ان المغرب ليس منشغلا الا بقضاياه الداخلية ؟ وهل معنى هذا ان المغرب مبتعد عما يدور حوله ؟ كلا، المغرب هو قبل كل شيء عضو في عدة أسر، هناك الأسرة الدولية العالمية، واسرتنا الاسلامية، وأخيرا الاسرة العربية.

والمغرب كعادته كما ترى وتقرأ في الصحف، وما يتوارد عليك من أخبار من الخارج لا يمكنه ابدا وفي أي حال من الأحوال ان يتقاعس أمام ما يرى وما يشاهد وما يقرأ وما يسمع، لا يمكن للمغرب حينما أقول المغرب أقول : جميع المغاربة ان يضعوا أصابعهم في آذانهم، وأن يصبح كل مغربي أصم أمام المآسي التي تتخبط فيها الأمة العربية ككل.

علما منّا بأن هذه الدولة العربية والأمة العربية هي كل لا يتجزأ، وحينا يقول الحديث الشريف «المؤمن للمؤمن كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، فإن ذلك ينطبق حقيقة على مشاكل العالم العربي والدول العربية، وحينا نادي باجتماع طاريء للقمة لدرس قضية الفلسطينيين في لبنان، فأنا لا أعني قضية الفلسطينيين في لبنان بالذات، الحمى التي استشرت وسرت من هذه المأساة الى جميع أعضاء الجسد العربي، ولهذه الحمى مظهر خاص بها في كل عضو من أعضاء العالم العربي، وحتى الذي لا يشعر بها بكيفية واضحة يشعر بها في قرارة نفسه، لماذا ؟ لأنه أولا لا يمكننا أن نبقى مكتوفي الأيدي أمام ما نرى، ولكن ستكون لها انعكاسات أحببنا أم كرهنا، فالنظام أوالدولة التي تقول لك انا قريب من لبنان أو بعيد عنها لن تمسني أحداث المنطقة يكذب أو على خطأ، أو الدولة التي تقول هذه المسألة لا قدر الله تحدث في المغرب وأنا دولة عربية في المشرق لن أتأثر بها مخطئة، والانسان الذي يقول : ان العراق يستنزف ولا شأن لنا به مخطيء، فحينا دعونا لعقد قمة استثنائية للنظر فيما يحدث في لبنان للفلسطينيين فليس ذلك تدخلا منا في الشؤون اللبنانية، اننا نحترم السيادة اللبنانية، ونحترمها، واحترمناها، وكنا دائما معها، ولكن يجب أن يعرف الجميع — واخواننا اللبنانيون هم الاولون — ان القضية الفلسطينية هي القضية العربية الاولى، والقضية الفلسطينية الآن هي كلها طارئة ليست داخل لبنان فحسب، القضية الفلسطينية في حد ذاتها قضية طارئة، لهذا فان المغرب لايزال يدعو الى مؤتمر طاريء للنظر في القضية الفلسطينية، وفي الاجواء العربية، لأن سنة 1985 ستكون سنة تحرك دولي مهم.

أملي كعربي انه عندما يدق جرس اللقاء تكون الامة العربية متراصة، واقفة على رجليها، تساهم لايجاد حلول، لا يفرض عليها ما يتفق عليه في القمة العليا، بل تساهم بما يمكن أن تساهم به، وهو أن تتحد قبل كل شيء حول أهداف، وان تبقى مخلصة للوصول الى تلك الأهداف، وفي الوقت الذي يقف فيه الكيان الفلسطيني على رجليه ويجد الفلسطينيون ان لديهم الحق في تقرير مصيرهم، إذاك نعطي لأنفسنا خمس عشرة سنة من الخصام فيما بيننا، نتفق فيما بيننا كذلك نحن العرب على تنوع الخلافات حتى في حالة عدم وجود سبب لذلك، ولكن ما دامت المشكلة الفلسطينية لم تجد طريقها الى الحل فلا وجه للخلاف، ومن الحرام ان تكون لدينا محاور أو كتل أو جبهات أمام القضية العربية الاساسية بالذات، والا سنكون نكذب على أنفسنا، وغير مسؤولين بالنسبة لأنفسنا، وهذا كلام مسؤول، فالمغرب من الناحية الخارجية مازال مصرا على استدعاء قمة طارئة، ليس لأجل وضع اللبنانيين فقط بل لوضع الفلسطينيين في لبنان أيضاً، لو كانت قضية الفلسطينيين في لبنان لأوفدنا رسلا الى المسؤولين في لبنان، لأن هذه مسألة سيادة، انها تحترم شعبا ولا تتركه يموت.

القضية الفلسطينية كما هي مطروحة الآن سوف تكون كارثة على العالم العربي، لأنها ستخلق ان لم تكن قد فعلته الآن حالة طواريء طولا وعرضا.

والقضية الفلسطينية ما دامت موضوعة هكذا ستلوث الأجواء العربية، وتلويث الأجواء العربية سيخلق حالة طواريء بين الدول العربية، إذن وضع الفلسطينيين في لبنان لم يكن في الحقيقة الا بمثابة مجهر لما وضعناه على لبنان، رأينا ان القضية الفلسطينية في لبنان متشعبة إلى حد بعيد، لها مبتدأ لا ندري متى وجد، ولها خبر ربما عرفناه، عرفناه قبل المبتدأ، وسنجد أنفسنا في مأزق حرج، وآخر سنة 1985 على الأبواب، ويقولون : إن ريكن وغورباتشوف سيلتقيان، وانه ربما سيحدث انفراج عالمي، ولنفرض ان هذا الانفراج العالمي سيقع ولن يساهم فيه أو لن يؤخذ بعين الاعتبار عنصر 120 مليون من العرب لديهم من الامكانيات ما لديهم، ولديهم من الثروات والبترول ما لديهم، ولهم من الأهمية الستراتيجية ما لهم، ويتم الانفراج في العالم، ونحن دول الحضارة



غائبين لماذا ؟ لا لسبب الا لأننا لسنا في مستوى مسؤولياتنا، فالمغرب على كل حال لابد أن يبرىء ساحته، ولابد ان يظهر بمظهر المسؤول كرجل واحد.

ولي اليقين أن ما أقول وما أحس به وما أقدمه من تحليلات، لا أنفرد به وسط أشقائي واخواني ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية.

ولا يسعني شعبي العزيز في هذه المناسبة التي أعلم أنك أنت الذي علمتني كيف أحتفل بعيد ميلادي، أن أقول لك مسبقا أنا ممنون لك وشاكر لك على تهانئك لي، فاقبل مني شعبي العزيز، كل فرد من أسرتي الكبيرة، الصغير والكبير، الضعيف والقوي، الداني والقاصي، عناقي وقبلاتي، وأماني لك بالخير والعافية، والدعاء لنا جميعا بهذه الآية القرآنية، ولا أجد أحسن منها، وهو ان نقول «رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً».

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الإثنين 19 شوال 1405 ـ 8 يوليوز 1985